

لو وِدَّ المسلمون نصوصهم التاريخية

لو وِدَّ المسلمون نصوصهم التاريخية
لما تناول الغرب على مقدساتهم

الشيخ حسن بغدادي
عضو المجلس المركزي في حزب الله

م.إحياء تراث علماء الشيعة

إن إحدى المشاكل الأساسية التي يعاني منها عالمنا الإسلامي اليوم هي تشتت مصادرهم التاريخية وإختلاف نصوصهم تبعاً لها، وبالأخص تلك المتعلقة بشخص رسول الله(ص)، مما فسح بالمجال أمام الكتاب

والكوموديين والمسرحيين وأصحاب الكاريكاتوريات في الغرب، من تناول حياة رسول الله(ص) بسهولة وببساطة من دون أن ترفّ لهم جفن، أو يحسبوا أدنى حساب لأحد من المسلمين، والأسوأ من كل ذلك نراهم يُبررونَ عدوانهم على أقدس مقدسات المسلمين بأن ما قاموا به من أفلام وصور وما شاكل إنما أخذوه عما كتبه بعض المسلمين، وأنهم لم يخترعوا شيئاً من أنفسهم، وإذا كان هناك عتب، فعليكم أيها المسلمون أن تعاتبوا أنفسكم، وبالفعل هذا الكلام نشرته شارلي إبدو المجلة الفرنسية في عددها الصادر في عددها 2/كانون الثاني، ونقلت مقتطفاً منه جريدة الديار اللبنانية في 3/كانون الثاني 2013م، تحت عنوان (قصة مصور) عن سيرة النبي محمد(ص) من شأنها أن تثير جدلاً واسعاً في المجتمع الإسلامي، وقال مدير المجلة ورسام الكاريكاتور الذي يدعى "شارب" : إنها سيرة مقبولة إسلامياً بما أن كُتّابها مسلمون، وهي عبارة عن تجميع لما كتبه كُتّاب السيرة عن حياة الرسول محمد(ص)، ونحن رسمناها فقط، وأعرب عن اعتقاده أن العالم الإسلامي لن يكون بوسعه أن يأخذ علينا شيئاً بشأن الجوهر، مشيراً إلى أن فكرة هذا الموضوع بدأت منذ عام 2006م، مع قضية الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد(ص) في الدنمارك حيث أعتقد أننا في بداية تعاملنا مع الأمر بالعكس، وتناولنا شخصية لم نكن نعرفها وأنا في المقدمة... قبل أن نتعامل مع شخصية بطريقة غير جيدة، علينا أن نعرفها جيداً، بقدر ما نعرف الكثير عن حياة المسيح(ع) لا نعرف شيئاً عن النبي محمد(ص).

وبشأن الإنتقادات التي يتوقع أن يثيرها تجسيد نبي الإسلام الأمر لا يجوز، أعتبر "شارب": أنه مجرد عرف لم يرد التحريم في القرأت... وبما أن ذلك لا يهدف إلى السخرية من النبي محمد(ص) فلا أرى مبرراً لعدم قراءة هذا الكُتيب كما تقرأ حكايات عن حياة (يسوع) في كتب التربية الدينية المسيحية.

أيها السادة

أردت من نقل ما نشرته هذه المجلة الفرنسية، ليس لأقدّم مبرراً لهؤلاء أو لأضع اللوم على الآخرين، وبالتالي هم يتحملون كافة المسؤولية، فسيرة نبينا العظيم الذي إمتدحه القرآن الكريم وتحدث عن عظمته وأخلاقه مئات الكُتّاب والمؤرخين المعتبرين حتى من غير المسلمين، لا يجوز ولا ينبغي لأحد أن يأخذ شيئاً من سيرته(ص) من بعض الجهلة من المسلمين، وهذا يلزمنا أن نضع حداً، لهذه المهزلة من خلال وضع برنامج يُؤسّس لمسار آخر، نُصحّح فيه هذه الأخطاء ونضع حداً لهؤلاء الذين لا يعرفون عن نبينهم شيئاً وكأنهم لم يقرأوا القرآن الكريم.

ونحن هنا هل يكفي أن نَتَفَرَّجَ أو نُؤَلِّوْلُ كالنساء أو نستنكر كأضعف الإيمان, على ما يقوم به الغرب وهو يعتدي على الرمز الأول من مقدساتنا الإسلامية النبي الأعظم محمد(ص), وبالتأكيد إنَّ ما قام به عالمنا الإسلامي من ردة فعل على الإساءة التي لحقت بنبينا(ص), لم ترقَ إلى حدود هذه الإساءة, ولولا بعض مظاهر الغضب وبالأخص ما قام به حزب الله في لبنان بشخص أمينه العام سماحة السيد حسن نصرالله, الذي لبثَّ الجماهير الغفيرة دعوته, وألقى فيها خطاباً ظهر فيه إلى العلن لأول مرة منذ عدة سنوات, ليقول للإسرائيليين وللأمريكيين ولكل من يعنيه الأمر: أن أرواحنا ترخص أمام إهانة رسول الله(ص), وَتَلَقَّفَ عموم الغرب هذه الرسالة القوية انه لو استمر بتماديهِ, لكانت تداعياتها على أكثر من ساحة.

أيها السادة

المسؤولية كبيرة وتقع على عاتق الجميع كما قال (ص) "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته", وقال تعالى
Pوَقِفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُوْلُوْنَ مَا لَكُمْ ؕ لَا تَدَّٰصِرُوْنَ بِلَّهِ
هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُوْنَ وَأَقْبِلْ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُوْنَ0سورة الصافات
آية 25-26-27 , إلا أن هذه المهمة تقع أكثر جدية على عاتق المٌجمعات التقريبية, والحوزات العلمية في النجف الأشرف, وقم المقدسة, والأزهر الشريف, وجبل عامل, ولا بد من القيام بخطوات عملية نحلَّ من خلالها مشاكلنا الداخلية, ونفوّت الفرصة على المصطادين بالماء العكر, وأنا هنا أقترح على السادة العلماء والباحثين عدة خطوات.

الخطوة الأولى :

أن نعلن رفضنا بشكل واضح وصريح للنصوص التي وردت على لسان بعض الكُتّاب من المسلمين المسيئة إلى شخص رسول الله (ص), والتي يتعذّر أصحابها انها موجودة في مصادرها الإسلامية.

الخطوة الثانية :

أن نُطَوِّرَ رِفْضَنَا بِاتِّجَاهِ مُوَاجَهَةِ هَؤُلَاءِ الْكِتَابِ وَنَعْتَبِرُهُمْ شُرَكَاءَ مَعَ الْكُفَّارِ بِالْإِسَاءَةِ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (ص)، وَأَنَّهُمْ سَبَبٌ مُبَاشِرٌ، وَعَلَيْنَا مُوَاجَهَتُهُمْ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ وَبِدُونِ مُوَارَبَةٍ، وَأَنْ يَضَعَ عُلَمَاءُ الْمَذَاهِبِ حَدًّا لِهَؤُلَاءِ.

الخطوة الثالثة :

أَنْ يَكُونَ لَدِينَا مَعْيَارٌ وَاضِحٌ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْكِتَابُ الْمَعْتَبَرَةُ، وَأَنْ هَؤُلَاءِ بِالْحَدِّ الْأَدْنَى لَمْ يَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ (ص): P وَإِنْ نَسَّكَ لَعَلَّاهُ خُلُقٍ عَظِيمٍ 0 سورة الْقَلَمِ آيَةٌ: (4)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: P وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى 0 سورة النِّجْمِ آيَةٌ: (3-4)، تَكْفِي لِلتَّفَكِيرِ الْفَرَّةَ قَبْلَ أَنْ نَكْتُبَ بِجَهْلِنَا عَنْبِينَا (ص) مَا يَسِيءُ إِلَيْهِ.

الخطوة الرابعة :

أَنْ نَعُودَ إِلَى الْفِكْرَةِ الْقَدِيمَةِ الْجَدِيدَةِ، مِنْ خِلَالِ وَضْعِ بَرْنَامِجٍ جَمَعَ الْأَحَادِيثَ الْمَشْتَرَكَةَ الْوَارِدَةَ مِنْ طَرُقِ السَّنَةِ وَالشَّيْعَةِ الْمَعْتَبَرَةِ، لِيَصَارَ إِلَى اعْتِمَادِهَا وَرَفْضِ مَا يَخْرُجُ عَنْهَا .

وَمَا أَحْجَوْنَا الْيَوْمَ إِلَى تَجْرِبَةِ دَارِ التَّقْرِيبِ فِي الْقَاهِرَةِ الَّذِي أُنْشِأَ فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الْمَاضِي بِإِشَارَةِ مِنَ الْعَلَامَةِ الْكَبِيرِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ شَرْفِ الدِّينِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ تَقِي الْقَمِي، وَالَّذِي ضَمَّ كِبَارَ الْعُلَمَاءِ مِنْ إِيرَانَ وَالنَّجَفِ وَالْأَزْهَرِ وَجَبَلِ عَامِلٍ، وَقَامَ بِإِنْجَازَاتٍ قَلَّ نَظِيرُهَا، وَمِنْهَا تَكْلِيفُ آيَةِ اﷻ السَّيِّدِ صَدْرِ الدِّينِ الصَّدْرِ وَالِدِ الْإِمَامِ السَّيِّدِ مُوسَى الصَّدْرِ مَعَ لَجْنَةِ عِلْمِيَّةٍ، لَجَمْعِ الْأَحَادِيثِ الْمَشْتَرَكَةِ الْوَارِدَةَ عَنْ الطَّرَفَيْنِ عَنِ رَسُولِ اﷻ (ص) حَيْثُ صَدَرَ مَجْلَدَانِ آنَذَاكَ.

وهذه الطريقة هي الأجدى والأأنفع في عملية تنقية النصوص ورفض ما هو شاذ وما هو من وضع الوضائع، وفي نفس الوقت نفتح الباب على فهم حقيقي للنص وتقطيع الطريق على الدخلاء الذين يريدون أن يستفيدوا من الخلافات المذهبية، وأنا اليوم أنوه بما قام به مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في طهران، والذي كان يرعاه أمينه العام السابق آية الله الشيخ محمد علي التسخيري بتلك الجهود التقريبية من خلال ترويج الأحاديث المشتركة وطبعها، كما أشد على يد الأمين العام لمجمع التقريب الجديد آية الله الشيخ محمد علي الآراكي بالمضي قدماً من دون تردد ولا وجل في جمع الكلمة وتوحيد الصف، وبذل الوسع من أجل اسلامنا العزيز ومقدساتنا الإسلامية وفي مقدمتهم شخص نبينا محمد (ص)، وأن نعلن للعالم بأسره بأنه لا يحق لأحد أن يأخذ عنّا إلا من منابعنا، فهناك المرتزقة والخونة والجهلاء والذين أعمى الله أبصارهم، ولا يكفي أيها الأحياء أن نتفرّج حتّى إذا ما حدث شيء لنهب للبحث عن طرق مواجهته، بل علينا كمسؤولين أمام هذه الرسالة السماوية وعن تعاليمها وعن احترام رموزها، أن نستبق الأحداث، كي نعيد النظر في بعض ما هو عندنا، كي نقرّه علناً أو نرفضه علناً، ونخطط لمستقبل زاهر يقوم على أساس مصلحة الإسلام والمسلمين، وأن نسير على خطى علمائنا الأبرار الذين لم يكتفوا بالوعظ والإرشاد، بل عملوا على إيجاد خطط إصلاحية تتناسب مع حجم المشكلة، فكانوا يواجهون الكتاب بالكتاب، والمدرسة بالمدرسة، والمجلة بالمجلة، والمؤسسة بالمؤسسة، ففي نهاية الحكم العثماني للمنطقة وقيام الإحتلال البريطاني للعراق وفلسطين، والفرنسي لسوريا ولبنان، نهضت إلى جنبه حركات تبشيرية متصهينة عملت على تحميل الإسلام وعلمائه كل ما حدث من حروب وفتن وأمية وفقر، وعملوا على إيجاد المجلات والمدارس والمؤسسات لتقوية موقفهم وتثبيت دعائهم وانهم لن يقدموا كلاماً فقط، وهبّ في تلك المرحلة العلماء المتنورين في إيران والعراق ومصر ولبنان وسوريا إلى مواجهة هؤلاء بمسؤولية ووعي، وأول شيء عملوه توحيد الأمة، من خلال توحيد الجهود المشتركة ولمّ الشمل على قاعدة إثارة حسّ الجهاد والمقاومة، وهذا ما نحتاجه على الدوام مضافاً لإيجاد المجلات والكتب والمدارس والمؤسسات التربوية والجمعيات الخيرية - شاكرًا لكم - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.